

دفع التعارض بين حديث " لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى "

مع حديث " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ "

(دراسة تفصيلية)

أ/ أماني جبران جابر الخالدي المالكي

باحثة حاصلة على الماجستير في السنة وعلومها - جامعة الملك خالد

amo501on@hotmail.com

ملخص البحث

موضوع البحث:

دفع التعارض بين حديثين من أحاديثه صلى الله عليه وسلم، والدفاع عن السنة النبوية بوصفها بأنها متناقضة.

أهداف البحث:

١/ تأكيد حقيقة أنه لا وجود للتعارض في السنة النبوية، والأحاديث لا يناقض بعضها البعض.

٢/ هذا التعارض ظاهراً فقط.

٣/ معرفة طرق دفع التعارض بين الأحاديث.

مشكلة البحث:

عدم وجود كتب في هذا العلم جمعت الأحاديث المتعارضة ظاهراً وتحدثت عنها تفصيلاً. صعوبة معرفة الناسخ والمنسوخ في السنة النبوية.

نتائج البحث:

مع البحث الدقيق والفهم الصحيح يتبين لنا أنه لا وجود له حقيقةً.

الكلمات الدالة (المفتاحية):

التعارض-الدفاع-ظاهراً-السنة-مختلف.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

إن الحديث النبوي يتبوأ من دين الله منزلة سامية ويتسنم ذرى قمة شامخة. وليس شيء من ذلك يجحده العقل السليم أو يدحضه النقل الصحيح، فللحديث النبوي في التشريع منزلة المصدر الثاني بعد كتاب الله العزيز، وقد قرن الله بين هذين المصدرين الخالدين-أبد الدهر- في كثير من آيات الكتاب العزيز، معظماً شأنهما، منوهاً بفضلها موضحاً ومبيناً لهديهما، داعياً إلى النزول على حكمهما والتحاكم إليهما ونبذ كل حكم لا يثوب إليهما، ولا يفيء إلى أمرهما، ولا يأخذ بشهابٍ قبسٍ من أنوارهما.^(١)

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

أنه من باب الدفاع عن السنة النبوية ممن يطعن في السنة النبوية ويشككون فيها. خاصة وأن هذا التعارض يكون في العقول فقط. بيان أن السنة كلها وحي من الله سبحانه وتعالى، فلا يمكن أن يكون هناك تعارض بين الأحاديث فلو وجد هذا التعارض فلا يكون إلا ظاهراً. ثم أنه يسهم هذا البحث في معرفة طرق دفع التعارض بين الأحاديث مع إضافة أقوال العلماء في ذلك للخروج بخلاصة في هذا الشأن.

^١ مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين والفقهاء، مقدمة لأسامة خياط (٧)

الدراسات السابقة:

اهتم العلماء بالحديث وبالتصنيف فيه، ومن علومه (مختلف الحديث) وهو علم يتناول بالدراسة والتحليل قضية التضاد والتناقض بين ظواهر بعض ما ثبت من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.^(١)

فكتب مختلف الحديث كثيرة ولا يسعني ذكرها هنا، ولكن عن موضوع البحث هذا فمن خلال بحثي لم أقف على من دافع عنهم ونفى هذا التعارض -تفصيلاً-.

منهج البحث:

يشتمل البحث على ذكر الحديث وتخريجه وتخريج موسعاً وذكر شواهد إن وجدت. ومنهجي في التخريج أن أضع الحديث الأصل ثم أخرجه، وأقوم بذكر الكتاب والباب إن وجد مع بيان الجزء والصفحة ورقم الحديث.

ثم ذكرت وجه التعارض بين الحديثين، ودفعه بأقوال الأئمة والعلماء، ووضعت بعض المسائل المهمة المتعلقة بالحديث من غير الخروج عن أصل الموضوع وهو دفع التعارض، وذكرت رأبي بعد ذلك، وخرجت في النهاية بأهم النتائج والتوصيات ملخصة في الخاتمة.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحث وفيه مطلبين، ثم خاتمة وأهم النتائج والتوصيات، وأخيراً فهرس المراجع والمصادر، على النحو التالي:

^١ مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين والفقهاء، لأسامة خياط (ص ١٠)

المقدمة وتحتوي على:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

الدراسات السابقة.

منهج البحث.

خطة البحث.

التمهيد وفيه : مقدمات /

أولاً: تعريف مختلف الحديث.

ثانياً: معنى التعارض بين الأدلة.

المبحث الأول/ وفيه مطلبين:

المطلب الأول: تخريج الحديثين.

المطلب الثاني: وجه التعارض، ودفعه بأقوال العلماء وأئمة هذا الشأن.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات.

فهرس المراجع والمصادر.

وبعد فأسأل الله توفيقه، وهدايته، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

التمهيد

مقدمات /

أولاً: تعريف مختلف الحديث.

مختلف الحديث لغةً:

المختلف والمختلف بكسر اللام وفتحها، فعلى الأول يكون اسم فاعل، وعلى الثاني يكون اسم مفعول، وهو من اختلاف الأمران إذا لم يتفقا، وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف، ومنه قول الله تعالى: ﴿يُخْرِجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ {سورة: النحل ٦٩} وقوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ﴾ {سورة: الأنعام ١٤١} أي: في حال اختلاف أكله. ^(١)

وفي اصطلاح المحدثين يقول النووي: ^(٢) أن يأتي حديثان مُتضادَّان في المعنى ظاهراً.

ثانياً: معنى التعارض بين الأدلة.

التعارض لغةً/ مِنْ الْعُرْضِ (بِضْمِ الْعَيْنِ) وَهُوَ النَّاحِيَةُ وَالْجِهَةُ وَكَأَنَّ الْكَلَامَ الْمُتَعَارِضَ يَقِفُ بَعْضُهُ فِي عُرْضِ بَعْضٍ، أَي: نَاحِيَتِهِ وَجِهَتِهِ، فَيَمْنَعُهُ مِنَ النُّفُوزِ إِلَى حَيْثُ وَجَّهَ.

وَفِي الْإِصْطِلَاحِ / تَقَابُلُ الدَّلِيلَيْنِ عَلَى سَبِيلِ الْمُنَافَاةِ. ^(٣)

^١ لسان العرب، لابن منظور (٩١-٩).

^٢ تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، للسيوطي (٢٨٢)

^٣ البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي (١٢٠ / ٨)

حقيقة التعارض بين الأدلة/

في الحقيقة لا يوجد تعارض حقيقي بين الأدلة الشرعية، غير أن النصوص قد تطرأ عليها عوامل من خلالها يظهر لنا أن بينها تعارض وهذا التعارض عائد إلى فهم الفقهاء، لذلك يسميه العلماء التعارض الظاهري لا الحقيقي، أو بمعنى: أنه لا تناقض في الأدلة الشرعية، فلا يمكن أن تجد آية تقول كذا حلال وأخرى تقول حرام.^(١)

أسباب وجود التعارض الظاهري/

لَا تَعَارُضُ بِحَمْدِ اللَّهِ بَيْنَ أَحَادِيثِهِ الصَّحِيحَةِ فَإِذَا وَقَعَ التَّعَارُضُ، فِيمَا أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْحَدِيثَيْنِ لَيْسَ مِنْ كَلَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ غَلِطَ فِيهِ بَعْضُ الرُّوَاةِ مَعَ كَوْنِهِ ثِقَةً ثَبَتًا، فَالثَّقَةُ يَغْلِطُ، أَوْ يَكُونُ أَحَدُ الْحَدِيثَيْنِ نَاسِخًا لِلْآخَرِ، إِذَا كَانَ مِمَّا يَقْبَلُ النَّسْخَ، أَوْ يَكُونُ التَّعَارُضُ فِي فَهْمِ السَّامِعِ، لَا فِي نَفْسِ كَلَامِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا بُدَّ مِنْ وَجْهِ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ.

وَأَمَّا حَدِيثَانِ صَحِيحَانِ صَرِيحَانِ مُتَنَاقِضَانِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، لَيْسَ أَحَدُهُمَا نَاسِخًا لِلْآخَرِ، فَهَذَا لَا يُوجَدُ أَصْلًا، وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يُوجَدَ فِي كَلَامِ الصَّادِقِ الْمُصَدُّوقِ الَّذِي لَا يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ شَفَتَيْهِ إِلَّا الْحَقُّ، وَالْأَقْفُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي مَعْرِفَةِ الْمُنْقُولِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ صَحِيحِهِ وَمَعْلُولِهِ، أَوْ مِنَ الْقُصُورِ فِي فَهْمِ مُرَادِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.^(٢)

^١ شبكة الألوكة، تحت هذا الرابط:

https://www.alukah.net/Books/Files/Book_10683/BookFile/hfjj.pdf

^٢ زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم (٤-١٣٧)

نستطيع تلخيصها في الثلاثة الأسباب الآتية:

- ١- أسباب تتعلق بالرواة والسند.
- ٢- أسباب تتعلق بالناسخ والمنسوخ.
- ٣- أسباب تتعلق بالألفاظ والفهم.

مسالك العلماء في دفع التعارض /

مسالكهم في ذلك على الترتيب:

- ١- الجمع.
- ٢- النسخ.
- ٣- الترجيح.
- ٤- التوقف.

المبحث الأول/

المطلب الأول: تخريج الحديثين.

المطلب الثاني: وجه التعارض، ودفعه بأقوال العلماء وأئمة هذا الشأن.

المطلب الأول/ تخريج الحديثين.

أولاً: تخريج حديث " لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى "

قال البخاري: " حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، عَنِ اللَّيْثِ، عَنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يُعْرِضُ سِلْعَتَهُ، أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ، فَقَالَ: لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَامَ فَاطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بَالُ فَلَانٍ لَطَمَ وَجْهِي، فَقَالَ: «لَمْ لَطَمْتَ وَجْهَهُ» فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: " لَا تَفْضَلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحْوَسَبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَمْ بُعِثَ قَبْلِي، وَلَا أَقُولُ: إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى " رواه عن أبي هريرة الأعرج وأحمد بن عبد الرحمن وأبي سلمة".^(١)

^١ أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى {وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} (٤/ ١٥٩) حديث ٣٤١٤، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم (٤/ ١٨٤٣) حديث ١٥٩ (٢٣٧٣) و (٢٣٧٤)، والنسائي في سننه (١٠/ ٢٤٢) كتاب سورة الزمر باب قوله تعالى: {ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى} حديث ١١٣٩٤ ولم يذكر فيها قصة اليهودي، وأحمد في مسنده (٢٩/ ١٣) حديث ٧٥٨٦ بنحوه، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ٣١٥) حديث ٧١١٣، جميعهم من طرق عن عبد العزيز بن أبي سلمة به.

- وأخرجه البخاري في صحيحه مختصراً بلفظ "لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى" كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: {وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} (٤/ ١٥٩) حديث ٣٤١٦ و ٤٦٣١، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب في ذكر يونس عليه السلام (٤/ ١٨٤٦) حديث ١٦٦ مرفوعاً إلى الله عز وجل، وأحمد في مسنده (١٥/ ١٤٥) حديث ٩٢٥٥ و ١٠٠٤٣ و ١٠٩٥٢، والبخاري في مسنده (١٤/ ٣٧٥) حديث ٨٠٨٩، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ٣١٦) حديث ٧١١٥ مرفوعاً إلى الله عز وجل، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ١٣٢) حديث ٦٢٣٨، جميعهم من طرق عن سعد بن إبراهيم به بمثله.

- وأخرجه الترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن باب سورة الزمر (٥/ ٢٢٦) حديث ٣٢٤٥ بلفظ من قال: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ"، وابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب ذكر البعث (٢/ ١٤٢٨) حديث ٤٢٧٤، والبخاري في مسنده (١٤/ ٣٠٨) حديث ٧٩٣٨، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٠١) حديث ٧٣١١، جميعهم من طرق عن محمد بن عمرو بن علقمة به بمثله.

* وللحديث شاهد من حديث ابن عباس رفعه للرسول صلى الله عليه وسلم بلفظ "لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى، وَتَسْبِيَهُ إِلَى أَبِيهِ"، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى:

ثانياً: تخریج الحديث المعارض " أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرٌ "

قال مسلم: " حَدَّثَنِي الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى أَبُو صَالِحٍ، حَدَّثَنَا هِثْلُ يَعْنِي ابْنَ زِيَادٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، حَدَّثَنِي أَبُو عَمَّارٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ » يرويه عن أبي هريرة عبد الله بن فروخ وأبي سلمة" (١).

{وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى} (١٥٣ / ٤) حديث ٣٣٩٥ و ٣٤١٣ و ٤٦٣٠ و ٧٥٣٩، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب في ذِكْرِ يُونسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١٨٤٦ / ٤) حديث ١٦٧ - (٢٣٧٧)، وأبو داود في سننه كتاب السنة باب في التَّخْيِيرِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (٢١٧ / ٤) حديث ٤٦٦٩، وأحمد في مسنده (٦١ / ٤) حديث ٢١٦٧ و ٢٢٩٨ و ٣١٧٩، جميعهم من طرق عن شعبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس بمثله.

* ومن حديث ابن مسعود رفعه للرسول صلى الله عليه وسلم بلفظ «مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مِنْ يُونسَ بْنِ مَتَّى» أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَأَنْ يُونسَ لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ} حديث ٣٤١٢ و ٤٦٠٣، والنسائي في سننه كتاب التفسير باب قَوْلِهِ تَعَالَى {وَيُونسَ وَلوطًا، وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ} (٩٢ / ١٠) حديث ١١٠٢، وأحمد في مسنده (٢٣٥ / ٦) حديث ٣٧٠٣ و ٤١٩٦، ثلاثتهم من طرق عن عَن أَبِي وَائِلٍ، عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ بِمِثْلِهِ.

١ أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم (١٧٨٢ / ٤) حديث (٢٢٧٨)، ومن طريقه البغوي في شرح السنة (٢٠٣ / ١٣) حديث ٣٦٢٥، وأبو داود في سننه كتاب السنة باب التخيير بين الأنبياء (٢١٨ / ٤) حديث ٤٦٧٣، والبيهقي في السنن الكبرى (٧ / ٩) حديث ١٧٧١٣، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١٧ / ١)، جميعهم من طرق عن الأوزاعي به بمثله.

وأخرجه أحمد في مسنده (٥٧٠ / ١٦) حديث ١٠٩٧٢، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣١٧ / ٦) حديث ٣١٧٢٨، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١٧ / ١)، جميعهم من طرق عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة مرفوعاً، بمثله.

وللحديث شواهد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظ (أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرٌ، وَبِيَدِي لَوْاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرٌ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرٌ) وفي الحديث قصة، أخرجه الترمذي في سننه (١٥٩ / ٥) كتاب تفسير القرآن باب من سورة بني إسرائيل حديث ٣١٤٨، وابن ماجه في سننه (١٤٤٠ / ٢) كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة حديث ٤٣٠٨، وأحمد في مسنده (١٠ / ١٧) حديث ١٠٩٨٧، جميعهم من طرق عن ابن جعدان عنه.

ومن حديث أنس مرفوعاً أخرجه أحمد في مسنده (٤٥١ / ١٩) حديث ١٢٤٦٩ من طريق عمرو، والبخاري في مسنده (٧١ / ١٣) حديث ٦٤١٣ من طريق عبد العزيز، كلاهما عنه.

ومن حديث ابن عباس مرفوعاً بلفظ مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَلَهُ دَعْوَةٌ، كُلُّهُمْ قَدْ تَنَجَّرَهَا فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي ادَّخَرْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَلَا وَإِنِّي سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرٌ.. أخرجه أحمد في مسنده (٣٣٠ / ٤) حديث ٢٥٤٦، والطيالسي في مسنده (٤٣٠ / ٤) حديث ٢٨٣٤، كلاهما من طرق عن أبي نضرة عنه.

ومن حديث عائشة مرفوعاً بلفظ «أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ وَلَا فَخْرٌ، وَأَبُوكَ سَيِّدُ كَهُولِ الْعَرَبِ» أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥١ / ٦) حديث ٣١٩٤٩، وأحمد في فضائل الصحابة (٣٩٤ / ١) حديث ٥٩٩، كلاهما من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد عنها .

المطلب الثاني وفيه /

أولاً: وجه التعارض بين الحديثين.

ثانياً: دفع التعارض بينهما بأقوال العلماء وأئمة الحديث.

أولاً: وجه التعارض بين الحديثين.

الحديث الأول " لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى "

ظاهر هذا الحديث يدل على المنع من تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض.

الحديث الثاني " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ "

ظاهر هذا الحديث يدل على تفضيله صلى الله عليه وسلم على غيره من البشر.

ثانياً: دفع التعارض بين الحديثين بأقوال العلماء وأئمة الحديث.

١ - يقول ابن قتيبة: "لَيْسَ هَهُنَا اخْتِلَافٌ وَلَا تَنَاقُضٌ، وَأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّهُ الشَّافِعُ يَوْمَئِذٍ، وَلَهُ لَوَاءُ الْحَمْدِ وَالْحَوْضِ، وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ: "لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ" طَرِيقَ التَّوَاضُّعِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَلِيَّتِكُمْ، وَكَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ".

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ: لَا تُفَضِّلُونِي عَلَيْهِ فِي الْعَمَلِ، فَلَعَلَّهُ أَكْثَرَ عَمَلًا مِنِّي، وَلَا فِي الْبَلْوَى وَالْإِمْتِحَانِ، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ مِنِّي مِحْنَةً^(١).

٢ - أنه يجوز أن يكون في وقتين، فقال عليه السلام: "لا ينبغي لأحد أن يقول إني خير من يونس" في أول أمره، في وقت أنزل عليه: "وما أدري ما يفعل بي ولا بكم" ووقت قيل له: يا خير البرية فقال: هذا إبراهيم وقبل أن ينزل الله عليه: "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" فلما غفر الله له ذلك علم أنه سيد ولد آدم، فقال ذلك حينئذ - والله أعلم^(٢).

١ تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة (ص: ١٨٢)

٢ شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٦/ ٥٣٤)

*وقد أجاب العلماء عن قوله صلى الله عليه وسلم: "لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ"

من خمسة أوجه/

١- أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ سَيُّدُ وَلَدِ آدَمَ فَلَمَّا عَلِمَ أَخْبَرَ بِهِ.

٢- أَنَّهُ قَالَ أَدَبًا وَتَوَاضَعًا.

٣- أَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا هُوَ عَنِ تَفْضِيلِ يُوَدِّي إِلَى تَنْقِصِ الْمَفْضُولِ.

٤- إِنَّمَا نَهَى عَنِ تَفْضِيلِ يُوَدِّي إِلَى الْخُصُومَةِ وَالْفِتْنَةِ كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ فِي سَبَبِ الْحَدِيثِ.

٥- أَنَّ النَّهْيَ مُحْتَصٌ بِالتَّفْضِيلِ فِي نَفْسِ النُّبُوَّةِ فَلَا تَفَاضُلَ فِيهَا وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ بِالْخِصَائِصِ وَفَضَائِلِ أُخْرَى وَلَا بُدَّ مِنْ اعْتِقَادِ التَّفْضِيلِ.^(١)

-معنى النهي عن التخيير أو التفضيل:

لَيْسَ مَعْنَى النَّهْيِ عَنِ التَّخْيِيرِ أَنْ يَعْتَقَدَ التَّسْوِيَةَ بَيْنَهُمْ فِي دَرَجَاتِهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ فَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى

{بَعْضٍ} {سورة: البقرة ٢٥٣}

بَلْ مَعْنَاهُ تَرْكُ التَّخْيِيرِ عَلَى الْإِزْرَاءِ بِيَعْضِهِمْ، وَالْإِخْلَالَ بِالْوَاجِبِ مِنْ حُقُوقِهِمْ، فَإِنَّهُ يَكُونُ

سَبَبًا لِفَسَادِ الْإِعْتِقَادِ فِي بَعْضِهِمْ وَذَلِكَ كَفَرٌ.^(٢)

^١ شرح الشفا، للهرابي (٢٩٨ / ١)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (٢٥٠ / ١٢)، شرح النووي على مسلم (٣٧ / ١٥)

^٢ شرح السنة، للبغوي (٢٠٣ / ١٣)، دلائل النبوة، للبيهقي (٤٩٥ / ٥)

* وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ" إِنَّمَا قَالَهُ لِوَجْهَيْنِ:

١ - امْتِثَالُ قَوْلِهِ تَعَالَى وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ.

٢ - أَنَّهُ مِنَ الْبَيَانِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ تَبْلِيغُهُ إِلَى أُمَّتِهِ لِيَعْرِفُوهُ وَيَعْتَقِدُوهُ وَيَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهُ وَيُوقِّرُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا تَقْتَضِي مَرْتَبَتُهُ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَهَذَا الْحَدِيثُ دَلِيلٌ لِتَفْضِيلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِمْ لِأَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْأَدَمِيِّينَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الْأَدَمِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ فَالتَّوْفِيقُ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ وَاضِحٌ.^(١)

*معنى السيادة في الحديث:

السَّيِّدُ هُوَ الَّذِي يُفُوقُ قَوْمَهُ فِي الْخَيْرِ، وَقِيلَ هُوَ الَّذِي يُفْزَعُ إِلَيْهِ فِي النَّوَابِغِ وَالشَّدَائِدِ فَيَقُومُ بِأَمْرِهِمْ وَيَتَحَمَّلُ عَنْهُمْ مَكَارِهِهُمْ وَيُدْفَعُهَا عَنْهُمْ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ أَنَّهُ سَيِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَسَبَبُ التَّقْيِيدِ أَنَّ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَظْهَرُ سُودُّهُ لِكُلِّ أَحَدٍ وَلَا يَبْقَى مَنَاعٌ وَلَا مُعَانِدٌ وَنَحْوُهُ بِخِلَافِ الدُّنْيَا فَقَدْ نَازَعَهُ ذَلِكَ فِيهَا مُلُوكُ الْكُفَّارِ وَرُؤَسَاءُ الْمُشْرِكِينَ.^(٢)

-معنى قَوْلُهُ: «وَلَا فَخْرَ»: أَي إِنَّمَا أَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ مُعْتَدًّا بِالنِّعْمَةِ لَا فَخْرًا وَاسْتِكْبَارًا فَلَعَلَّ مَنْ فَخَرَ تَزَيَّدَ فِي فَخْرِهِ، يَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَيْسَ مِنِّي عَلَى سَبِيلِ الْفَخْرِ الَّذِي يَدْخُلُهُ التَّزْيِيدُ وَالْكِبْرُ.^(٣)

^١ شرح النووي على مسلم (٣٧ / ١٥)، شرح السنة، للبخاري (٢٠٣ / ١٣)، دلائل النبوة، للبيهقي (٤٩٥ / ٥)

^٢ شرح النووي على مسلم (٣٧ / ١٥)

^٣ دلائل النبوة، للبيهقي (٤٩٧ / ٥)، شرح السنة، للبخاري (٢٠٣ / ١٣)

الخلاصة/

مما تقدم أقول أنه لا تعارض بين الحديثين، وأميل لما قاله ابن قتيبة، وأنه صلى الله عليه وسلم أفضل الناس وسيدهم كما ثبت في الأحاديث الصحيحة، وأنه قال "لا تفضلوا" من طريق التواضع، فهنا نستطيع التوفيق والجمع بين الحديثين فلا تعارض بينهما.

(فائدة)

١ - لماذا خص يونس بالذكر؟

لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَذْكُرْهُ فِي جُمْلَةِ أَوْلِي الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، وَقَالَ: {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ} {سورة: القلم ٤٨} فَقَصَّرَ بِهِ عَنْ مَرَاتِبِ أَوْلِي الْعِزْمِ وَالصَّبْرِ مِنَ الرُّسُلِ، فَيَقُولُ - صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا لَمْ آذَنْ لَكُمْ أَنْ تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى، فَلَا يَجُوزُ لَكُمْ أَنْ تُفَضِّلُونِي عَلَى غَيْرِهِ مَنْ ذَوِي الْعِزْمِ مِنْ أَجَلَّةِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ.^(١)

^١ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للهروي (٩/ ٣٦٤٥)

الخاتمة

من خلال ما سبق يمكنني التوصل إلى أهم نتائج البحث/

١- أنه لا تعارض بين الحديثين، إنما وقع التعارض في العقول والأذهان، وحديثه صلى الله عليه وسلم لا يناقض بعضه البعض، ولكن نحتاج لفهم واضح للأحاديث قبل الحكم بأنها متعارضة.

٢- تفضل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بخصائص خصّه بها، وفضّله على سائر البشر.

٣- إثبات التفاضل بين الأنبياء.

٤- أن يوم القيامة هو الوقت الذي يظهر سوّده صلى الله عليه وسلم لكل من الأولين والآخرين دون منازعة أو معاندة.

التوصيات/

١- أهمية فهم الأحاديث والبحث والتنقيب قبل الحكم عليها بالتعارض.

٢- كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة من أفضل الكتب في هذا العلم -مختلف الحديث، فيوصى به عند وجود أحاديث متعارضة.

وأخيراً.. الحمد لله على توفيقه لإتمام هذا البحث، كما أسأله تعالى أن يجعله نافعا في الدنيا والآخرة إنه سميع مجيب، وأسأل الله أن يوفقنا للعلم النافع، والعمل الصالح، والقول السديد، وأن يهدينا إلى الصواب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع والمصادر

- ١ . القرآن الكريم.
- ٢ . البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولى.
- ٣ . تأويل مختلف الحديث، لأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراف، الطبعة الثانية.
- ٤ . تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لأبي الفضل جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) الناشر دار الأرقم، الطبعة الأولى.
- ٥ . دلائل النبوة، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ) دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى.
- ٦ . زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة السابعة والعشرون.
- ٧ . سنن ابن ماجه، لأبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.
- ٨ . سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (ت ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- ٩ . سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ) المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت.

- ١٠ . سنن النسائي الكبرى، لأبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى.
- ١١ . شرح السنة للبغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية.
- ١٢ . شرح الشفا، لعلي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى.
- ١٣ . شرح النووي على مسلم، لأبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية.
- ١٤ . شرح صحيح البخاري لابن بطلال، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية.
- ١٥ . شرح معاني الآثار، لأبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت ٣٢١هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى.
- ١٦ . صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت ٣٥٤هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.
- ١٧ . صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى.

- ١٨ . صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)
المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٩ . الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري،
البغدادي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة
المنورة.
- ٢٠ . عمده القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد
بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث
العربي - بيروت.
- ٢١ . فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت
٢٤١هـ) تحقيق: وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة:
الأولى.
- ٢٢ . لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري
(ت ٧١١هـ) الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة.
- ٢٣ . مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين والفقهاء، لأسامة عبد الله خياط، طبعة
دار الفضيلة.
- ٢٤ . مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين
الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ) الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى.
- ٢٥ . مسند أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) المحقق: شعيب
الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى.

٢٦. مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت ٢٩٢هـ) المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى.

٢٧. مسند الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت ٢٠٤هـ) المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر - مصر، الطبعة: الأولى.

٢٨. مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي (ت ٢٣٥هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى.

٢٩. المواقع الإلكترونية.

موقع شبكة الألوكة.

الفهرس

٢	ملخص البحث
٤	المقدمة
٦	التمهيد
١٠	المبحث الأول المطلب الأول/ تخريج الحديثين
١٣	المطلب الثاني/ وجه التعارض ودفعه بأقوال العلماء وأئمة هذا الشأن.
١٦	الخلاصة
١٧	الخاتمة
١٨	المراجع والمصادر